السورة الثالثة عشرة

العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

إنّها إحدى أقصر سوَر القرآن الكريم، ولكنّها تحتلّ مكانةً مهمة في حياة المسلمين اليوميّة، وهي السورة الثانية عشرة في الترتيب التراجعي لسوَر الجزء الثلاثين من القرآن الكريم.

وفي كلماتها الأربع عشرة ما لا يقلّ عن ٢٢ موقعاً لغويّاً جديداً يعرفها العرب لأوّل مرّة ويضيفها القرآن إلى قاموسهم اللغويّ اليوميّ.

ويميّزها عن باقي سوَر القرآن الكريم تفرُّدها بلفظ (العصر) الذي أصبح اسماً لها، وكذلك بتعبيرين اختصّت بهما ولا يتكرّران في القرآن الكريم، وهما: (في خُسْر، وتَواصَوا بالحقّ).

أوّلاً: الألفاظ والمصطلحات

١- العصر:

ذهب المفسّرون في تفسير هذا اللفظ أكثر من مذهب، ويرجّح أكثرهم أنّه صلاة العصر، أو الصلاة الوسطى كما سمّاها القرآن في آيةٍ أخرى، تِبعاً لبعض المفسّرين.

ومن أشهر معانيه الأخرى؛ الوقت المتوسّط ما بين الظهر والمغرب، وكذلك الزمن أو الدهر. وسنأتي على مزيدٍ من المعاني لهذا اللفظ فيما بعد.

وتنفرد سورة (العصر) بهذا اللفظ فلا يتكرّر في غيرها من السوَر.

ويرِد اللفظ عند امرئ القيس (ت٨٠ ق.هـ) مرةً واحدةً ولكن بضمّ العين والصاد، فهو لفظٌ مختلفٌ إذن، عن اللفظ القرآنيّ، وإن كان معناه الزمن أو الدهر أيضاً، وذلك في قوله:

ألا عِمْ صباحاً أيّها الطللُ البالي وهل يَعِمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي

و لفظ (العُصُر) في بيت امرئ القيس مفرد، رغم مجيئه على إحدى صيغ الجموع المشهورة. وصيَغ جمعه المعروفة هي: أعصُرٌ وأعصارٌ وعُصْرٌ وعصور.

ويرِد مرةً أخرى في أبياتٍ تُنسب لعنترة (ت٢٢ ق.هـ) ويمدح فيها كسرى فيقول:

يا أيّها الملكُ الذي راحاتُهُ قامتْ مقامَ الغيثِ في أزمانِه
يا قِبلةَ القُصّاد يا تاجَ العُلا يا بدرَ هذا العصرِ في كيوانِه
يا مُخجِلاً نَوءَ السماءِ بجُودِه يا مُنقِذَ المحزون مِن أحزانِه

وهي أبياتٌ لا تترك الخيار للناقد الحصيفٍ في أن يشكّ بنسبتها للشاعر:

- لموضوعها البعيد عن الحقائق التاريخية المتعلّقة بسيرة حياة عنترة.

- لروحها البعيدة عن شخصيّة عنترة الفارس الأنِف حتى في مديحه.
- للغتها البعيدة جدّاً عن لغة الجاهليّين، بل القريبة إلى لغة عصور الضعف والانحدار.
- لكثرة ما نُحل لهذا الشاعر خاصّةً من أخبارٍ وأشعار، حتّى اختلط حول حياته وشعره التاريخُ بالأسطورة.

إنّ المؤكّد أن استعمال اللفظ، مفرداً أو جمعاً، كان نادراً في الحِقبة الجاهليّة. ولكنّ الطريف أن الاسم الأصليّ للشاعر أعصُر بن سعد الذي عاش في القرن الرابع الميلاديّ، أي قبل الإسلام بما يقرب من قرنين، هو منبّه بن سعد بن قيس عيلان، ولُقّب كذلك -كما قيل- " لبيتٍ قاله تفرّد فيه بذكر (الأعصُر)" وهو:

أعُمَيرُ إنّ أباكِ شَيَّبَ رأسَهُ كَرُّ الليالي واختلافُ الأعصُرِ

وحقّاً لا نعثر على هذا اللفظ عند غيره من الشعراء الجاهليّين[1]. ثم لا نجد الجمع المشهور الآخر للّفظ، وهو لفظ (العصور)، إلاّ بعد الإسلام عند المتلمّس الضبعيّ (ت٤٣هـ) في قوله:

عرفتُ لأصحابِ النجائبِ حِدةً إذا عَرَفوا لي في العصور الأوائلِ

ولكنّ في لغة الحديث النبويّ ما يغنينا عن الرجوع إلى لغة الشعر الجاهليّ فيما يتعلّق بانتشار استعمال هذا اللفظ بمعنى الحِقبة أو الدهر؛ إذ لا نعثر عليه في الحديث إلاّ مرّتين: مرَّة في (صحيح مسلم)، ولكن على غير لسان الرسول ﷺ:

- سئل زيدٌ عن قوله ﷺ "وأهل بيتي": مَن أهلُ بيتِه؟ نساؤه؟ قال: لا، وأيمُ

(١) يشكّك طه حسين -فيما شكّك- بوجود هذا الشاعر، فيقول: فإذا لاحظنا أنّ "أعصر" هذا هو ابن سعد بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ، رأينا أنّه -إن عاش- فقد عاش قبل الإسلام بعشرة قرونٍ على أقلّ تقدير!، انظر:
- حسين، طه. **في الأدب الجاهليّ**، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠١م، ص: ١٥٦.

الله إنّ المرأةَ تكون مع الرجلِ العصرَ من الدهر، ثمّ يطلّقها فترجعُ إلى أبيها وقومِها... [1]

والثانية في رواية أحمد للحديث المشهور:

- عن حكيم بن معاوية البُهزيّ عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ رجلاً كان قبلكم رغَسَه اللهُ تبارك وتعالى مالاً وولداً حتى ذهب عصرٌ وجاء عصر، فلمّا حضرته الوفاة قال: أيْ بَنِيّ، أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا خيرَ أبٍ، قال: فهل أنتم مطيعيّ؟ قالوا: نعم. قال: انظروا إذا متُّ أن تُحَرّقوني حتى تدَعوني فحماً... [2]

وتنفرد هذه الرواية بعبارة (حتى ذهب عصرٌ وجاء عصر) بين رواياتٍ عديدةٍ أخرى للحديث -منها خمس رواياتٍ على الأقلّ في مُسنَد أحمد نفسه- ليس فيها هذه العبارة، ممّا يجعلنا غير واثقين تماماً من أنّه لفظٌ جرى حقاً على لسان الرسول ﷺ.

٢- الإنسان:

لا نستطيع أن ندّعي أنّ هذا اللفظ مختصٌّ بالقرآن، وقد تردّدتُ كثيراً في إدراجه بين الألفاظ القرآنيّة، ولكننا نستطيع أن نقول إنّه قرآنيٌّ بغلبة الاستعمال.

فعلى حين لا نجده في الشعر الجاهليّ أكثر من ثلاث مرّات، ثمّ ما يقارب هذا العدد في الحديث النبويّ الشريف، نجده يتكرّر في القرآن الكريم ٦٥ مرّة، وهي كثافةٌ غير عاديّةٍ تذكّرنا بكثافة اللفظ القرآنيّ الآخر (قُلْ)، ولا سيما في ضوء الحقيقة التي أتينا على ذكرها من قبل، وهي قلّة تكرار الألفاظ في كتاب الله تعالى بحيث إنّ ما يقرب من ثُلُثي ألفاظ القرآن الكريم لا يتكرّر أبداً، وهي خصيصةٌ لا يعرفها أيّ كتابٍ من كتب البشر فيما نعلم.

---

(١) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٧٤، حديث رقم ٢٤٠٨.

(٢) الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، مرجع سابق، ج٣٣، ص٢١٦، حديث رقم ٢٠٠١٢.

ولا شكّ أنّ أهمّية الفرق بين عدد المرّات التي يرِد فيها اللفظ في القرآن وعددها في الشعر تتّضح لو قارنّا بينه وبين لفظ (الناس).

فهذا اللفظ الأخير يتكرّر ٢٤٢ مرّةً في القرآن، وهي أيضاً كثافةٌ غير عاديّة، ولكنّنا، مع ذلك، لم نُدْرجه في الألفاظ القرآنيّة، لأنه يتكرّر في الشعر الجاهليّ بهذه الكثافة نفسها تقريباً (استخدمه ٧١ شاعراً على الأقلّ، معظمهم أكثر من مرّة).

٣- خُسر:

يرد هذا اللفظ مرّتين في القرآن، ثمّ يحلّ محلّه في المواضع الأخرى اللفظان (خَسار) و (خُسران)، ولكنّنا لا نجد أبداً لفظنا المعتاد والمتردّد على ألسنتنا باستمرار (خسارة)!!

ويخلو الحديث الشريف تماماً، وكذلك الشعر الجاهليّ والإسلاميّ، من هذا اللفظ، وعلينا أن ننتظر حتى العصر العبّاسيّ لنعثر عليه لأوّل مرّةٍ في شعر ابن الروميّ (ت٢٨٣هـ):

أوْ لا فجُدْ ليْ بالكلامِ فإنّه رِبحٌ بلا خُسْرٍ هنالكَ فارتبِحْ

٤- آمَنوا:

رغم الكثافة غير العاديّة التي أحرزها استعمال هذا اللفظ مع مشتقّاته في القرآن، وهي تتكرّر فيه مئات المرّات، ينعدم وجود جذر هذا الفعل في الشعر الجاهليّ، فلا نعثر عليه أو على مشتقّاته هناك أبداً، لا لفظاً ولا معنىً.

والطريف أنّ أقرب ما نجده في الشعر الجاهليّ إلى هذا اللفظ الفعل المضارع (آمَنُ) بمعنى (أشعر بالأمان) وذلك في بيت تأبّط شرّاً (ت٨٣ ق.هـ) الذي سبق أن أوردناه في دراستنا لسورة (قريش):

تاللهِ آمَنُ أنثى بعدما حَلَفَتْ أسماءُ باللهِ مِن عهدٍ وميثاقِ

ومن الواضح أن مشتقّات المصطلح الإسلاميّ الجديد (إيمان) أصبحت تملأ الساحة اللغويّة للمسلمين الأوائل منذ الشهور الأولى لتنزّل الرسالة على النبيّ ﷺ، بحيث أنّ إطلاق هذا المصطلح، هكذا مجرّداً من أيّ سياق، أصبح يكفي للدلالة على أنّه التصديق برسالة الإسلام.

٥- الصالحات:

اعتدنا في لغتنا اليوميّة أن نصِف بلفظ (صالح) شخصاً أو عملاً أو ظرفاً معيّناً، فنقول:

رجلٌ صالح،

وعملٌ صالح،

وعملةٌ صالحةٌ للتداول،

ووقتٌ صالحٌ للزيارة،

وبطاقةٌ صالحةٌ للدخول..

ولكنّنا لا نجمع هذا اللفظ قطّ، إلاّ أن يكون وصفاً لذكورٍ فنقول:

رجالٌ صالحون

أو لإناثٍ، فنقول:

نساءٌ صالحات

ثمّ لا بدّ من ذكر الموصوف قبله: (أعمالٌ)، فنحن لا نقول:

هو يعمل الصالحة، بل:

هو يعمل أعمالاً صالحة

هل اتّضح الآن الفارق بين الاستعمال القرآنيّ والاستعمال البشريّ؟

فكيف استعملها الشاعر الجاهليّ، وكيف جاءت في الحديث النبويّ؟

obeikan.com

نجد اللفظ (الصالحات) في الشعر الجاهليّ مرةً واحدة، ولكنْ وصفاً للفظٍ آخر قبله، كما يجب أن نتوقّع، وهو اللفظ (فِعالٌ) وذلك في قول بشر الفزاريّ (ت؟):

فإنْ لا يكنْ جسمي طويلاً فإنّني له بالفِعالِ الصالحاتِ وَصولُ

أمّا في الحديث الشريف فنعثر على لفظ (الصالحات) مرّاتٍ قليلة: إحداها في اقتباسٍ نبويٍّ من القرآن يبدو وكأنّه في سياق تفسير التعبير القرآنيّ ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: ٤٦، ومريم: ٧٦] وذلك في قوله ﷺ:

- استكثِروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يا رسولَ الله؟.. قال: التكبيرُ والتهليل والتسبيح والتحميد، ولا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله[١]

وأخرى، ولعلّها أقرب الاستعمالات إلى القرآن الكريم، حين يأتي وصفاً مستقلاً لا يسبقه موصوف، وذلك في الحديث الشريف:

- كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يُحبّ قال: الحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات...[٢]

ورغم أنّ لفظ (الصالحات) هنا يحيلنا إلى اللفظ القرآنيّ الذي اتّكأ عليه الرسول ﷺ فإنّنا نرجّح أنّه لا يشير في هذا الموضع إلى عملٍ يُعمل، كما في المعنى القرآنيّ، وإنّما إلى (أشياءٍ) أو (نِعَمٍ) أنعم الله بها علينا فاستحقّ الثناءَ والحمدَ منّا.

ويأتي اللفظ في حديثين آخرين وصفاً للنساء، وليس للأعمال، وذلك في قوله ﷺ:

- الصالحاتُ للصالحين... [٣]
- أَنكِحوا الصالحين والصالحات... [٤]

(١) الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٤١، حديث رقم ١١٧١٣.

(٢) القزويني، **سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٥٠، حديث رقم ٣٨٠٣.

(٣) الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، مرجع سابق، ج٢٦، ص١٢٦، حديث رقم ١٦٢٠٦.

(٤) الدارمي، **سنن الدارمي**، مرجع سابق، ج٢، ص١٨٤، حديث رقم ٢١٨١.

وفضلاً عن هذا الاختلاف بين الاستعمال القرآنيّ والاستعمالات النبويّة والشعريّة واليوميّة العاديّة، إلى جانب النُدرةِ، رغم ذلك، في الاستعمالات النبويّة والشعريّة، نجد اللفظ يتكرّر في القرآن الكريم ٦٢ مرّة، منها ٦١ مرّة بمعنى الأعمال الصالحة، من غير ذكر الموصوف (الأعمال) كما أوضحنا، وإنّما يُذكر الفعل وحده (عملوا، أو: يعملون، أو: عمِلَ، أو: يَعمل)، ثمّ يرد مرةً واحدةً بمعنى النساء الصالحات، ومن غير ذكر الموصوف (النساء).

٦ – تواصَوا:

رغم أننا نعثر على هذا اللفظ مرّتين على الأقلّ في الشعر الجاهليّ، فمن اللافت للنظر أننا لا نجده أبداً، بمختلِف مشتقّاته، في الحديث الشريف.

حتى الشاعران اللذان نجده عندهما لا نعرف عنهما إلا القليل، ولا نعرف تاريخاً لوفاتهما. الأوّل هو المعطّل الهُذلي، حيث يقول:

تواصَوا بألاّ تقربنّ فأشعلتْ عليهمْ غَواشيها فضلّتْ وُصاتُها

والثاني هو يزيد بن سنان المُرّي، وقد قال:

رميتُهمُ بوجزةَ إذ تواصَوا ليرمُوا نحرَها كثَباً ونحْري

ويتكرّر اللفظ في القرآن الكريم، مع ذلك، ٥ مرّات.

ثانياً: الصيغ والعلاقات اللغويّة

١– والعصر:

هذا قسَمٌ قرآنيٌّ جديد، فقد أقسم تعالى، وفي أكثر من مكان، بمختلِف أجزاء النهار والليل، وهو نوعٌ من القسَم ليس للبشر أن يشاركوا القرآن فيه فيقسموا بما أقسم تعالى به، إذ لم يُجزِ الرسول ﷺ لنا الحَلفَ بغير الله، ومن هنا تأتي فَرادةُ هذا القسَم وقرآنيّتُه، بالإضافة إلى أنّ هذا القسَم أُفرِد بوحدةٍ لغويّةٍ كاملةٍ مستقلّة (آيةٍ) وهو أمرٌ لا تعرفه لغتنا العاديّة أو لغة الحديث النبويّ.

٢- إنّ الإنسانَ لَفي خُسْر:

يخرج القرآن الكريم بجواب القسم هذا عن المألوف بأنْ فصَله عن القسَم نفسه وجعله في آيةٍ مستقلّةٍ تقتصر على جواب القسم، على حين أفرد للقسَم نفسِه آيةً بكاملها هي الآية الأولى، وهو بهذا، مرّةً أخرى، يقدّم لنا مفهوماً جديداً للوحدة اللغويّة الأساسيّة، ويخرج بنا عن تقاليد الوحدة القديمة، وهي الجملة.

٣- في خُسْر:

فضلاً عن تفرّد القرآن الكريم باللفظ (خُسر) دون الشعر الجاهليّ أو الحديث النبويّ، كما عرفنا، فإنّ سورة (العصر) تختصّ بهذا التركيب الذي يرتبط فيه اللفظ بأداة الجرّ (في). وهكذا جاء اللفظ (خُسر) بمعنى (خَسارة) وجاء التركيب (في خُسر) بمعنى (خاسر). ويرِد اللفظ مرةً واحدةً أخرى في القرآن، ولكن من دون هذه الأداة، وذلك في قوله تعالى:

- ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٩]

ولو تُرك أمر آية (العصر) لأساليبنا اللغويّة لقلنا في هذا المعنى:

لا بدّ للإنسان أن يخسر في النهاية، أو:

إنّ الإنسان خاسرٌ في النهاية، أو:

إنّ نهاية الإنسان هي الخسارة المؤكّدة..

ولكنّنا لن نقول أبداً (إنّه في خُسر). ولا نجد هذا الاستعمال أبداً في الحديث الشريف.

٤- إلاّ الذين آمنوا:

استثناءٌ غير تقليديٍّ تفاجئنا به السورة. فرغم عموميّة اللفظ (إنسان) الذي سبق هذا الاستثناء، وشمولِه لأكثر من فردٍ واحدٍ، يبقى لفظاً مفرد الدلالة في

طبيعته، على عكس ألفاظٍ أخرى لها عموميّته ولكن ليس لها طبيعته اللغويّة، مثل (الناس، القوم). نحن نقول:

هذا الإنسان

ولكن لا نقول:

هذا الناس، ولا:

هذا القوم

وقد نقول:

جاء الناس إلاّ المتأخّرين

ولكن لا نقول:

جاء الإنسان إلاّ المتأخّرين

وهكذا يستثني تعالى من المفرد وهو (الإنسان) جمعاً ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهو تقليدٌ لم يُسبَق إليه القرآن الكريم.

٥- عمِلوا الصالحات:

فضلاً عن جدّة الاستعمال القرآنيّ (الصالحات) كما رأينا، بإطلاق هذا الجمع على الأعمال الصالحة، وتفرّد القرآن بذلك، تُشكّل هذه الجملةُ تعبيراً جديداً لم تعرفه العربيّة قبل القرآن، بل ندر أن عرفته بعده، حتّى في الحديث الشريف، رغم تكرار وروده في القرآن الكريم ما لا يقلّ عن ٥٥ مرّة.

٦- ٧- تواصَوا بالحقّ/ تواصَوا بالصبر:

وهما صيغتان جديدتان على العربيّة، ولا نكاد نجدهما في لغتنا البشريّة بعد القرآن، ولا وجود لهما في لغة الحديث الشريف.

ثالثاً: السبائك اللغويّة

١- إنّ الإنسانَ لفي خُسْر:

هذه الصياغة القرآنيّة، التي تبدأ بالأداة المشبّهة بالفعل (إنّ) يليها اسمها الظاهر، وتنتهي بخبرٍ مؤلّفٍ من شبه جملةٍ، هو حرف الجرّ "في" مع مجروره المصدر، ومرتبطٍ باللام المؤكّدة أو المزحلقة، أصبحت سبيكةً تشير بوضوح، أينما وردت، إلى مصدرها القرآنيّ، فهي تتردّد في آياتٍ عدّة، منها:

- ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود: ١١٠]
- ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٨]
- ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحجّ: ٥٣]

٢- الذين آمنوا وعملوا الصالحات:

يتردّد هذا التعبير بألفاظه نفسها في القرآن الكريم ٥١ مرّة، وهذا وحده كافٍ ليجعل منه سبيكةً شديدة التميّز، فضلاً عن تفرّده في صياغته النحويّة وعلاقاته اللغويّة.

٣- تواصَوا بالحقّ وتواصَوا بالصبر:

رغم كثافة استعمال اللفظين (الحقّ) و (الصبر) ومشتقّاتهما في القرآن الكريم كثافةً غير عاديّة، إذ يتكرّر الأوّل فيه (٢٢٧) مرّة، ويتكرّر الثاني، مع مشتقّاته، ١٠٣ مرّات، فإنّ هذا لم يكن كافياً ليجعل من هذه العبارة سبيكةً قرآنيّة، لولا التكرار المتوازن فيها: تواصَوا بالحقّ | تواصَوا بالصبر، والذي نجد له نظيراً قرآنيّاً آخر في قوله تعالى:

- ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]

فالتوازي الداخليّ في العبارة، من ناحية، والتوازي الخارجيّ، المتمثّل في وجود العبارة الأخرى الرديفة والموازية لها، من ناحيةٍ أخرى، إضافةً إلى الخصوصيّة القرآنيّة للفعل (تواصَوا) كما رأينا، من شأنه أن يؤسّس للعبارة لتكون سبيكةً قرآنيّةً متميّزةً في السورة.

رابعاً: مواقع منفتحة

١- والعصر:

هذا قَسَمٌ إلهيٌّ خاصٌّ لم يتّفق المفسّرون على معناه، وليس للمُقسَم به من الله أن يكون معروفاً لدينا أو واضحاً ومحدّداً، وهو الذي أقسم بما نعرف وبما لا نعرف:

- ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الحاقّة: ٣٨ ـ ٣٩]

بل ربّما كان من دواعي الإثارة والتأثير أن يرتفع المُقسَم به، لجلالة مفهومه وعظمة طبيعته، إلى مستوىً فوق فهم البشر وإدراكهم.

وهكذا اختلف المفسّرون على معنى (العصر): أهو الصلاة المعروفة، أم هو وقتها، أو الحقبة من الحقب، أو الدهر كلّه، أو عصر النبيّ ﷺ وحده، لفضله بتجديد النبوّة فيه، أو ربّ العصر، أو المطر (من المُعْصِرات، وهي السُحب الماطرة)، أو العطيّة والمنحة، أو الملجأ..

وبقدر ما تزداد هذه التفسيرات يزداد اللفظ اقتراباً من اللغة القرآنيّة الطيفيّة المنفتحة ذات الألوان والأبعاد المتعدّدة.

٢- إنّ الإنسانَ لَفي خُسْر:

لم يكتف المفسّرون بالاختلاف على لفظ (الإنسان) هنا، أهو البشر عموماً، وهو الأرجح، أم هو إنسانٌ معيّن، كأبي جهلٍ مثلاً، بل اختلفوا أكثر على طبيعة (الخُسر) في الآية: أهو مجرّد الخسارة، أم هو الهَلكة، أو خسران أهله ومنزله في

الجنّة، أو النقص في الأجر، إذ ينقص عمره كلّ يوم فتنقص بذلك لديه فرصة الطاعة والإثابة عليها، أو هو دخول النار، أو العقوبة عامّةً، أو الشرّ مطلقاً..

ومرّةً أخرى تزداد القيمة التعبيريّة للآية بازدياد أطيافها وتقاطع معاني ألفاظها.

خامساً: جوامع الكَلِم

سبق أن أوضحنا أنّ ما نريد إلقاء الضوء عليه في هذا الجانب ليس ما سار على الألسنة وأصبح عند العرب بمثابة الحكمة والأمثال السائرة فحسب، بل ما نجد فيه من مقوّمات هذه الحِكم والأمثال، ممّا يرشّحه لأن يأخذ مكانه فيها أيضاً.

وبإمكاننا أن نجد في السورة ما لا يقلّ عن أربعةٍ من هذه التعبيرات، وهي:

١- إنّ الإنسان لفي خُسر:

ربما لا تكون هذه الآية من العبارات القرآنيّة التي سارت على الألسن لتكون بمثابة حكمةٍ أو مثلٍ نستشهد به من حينٍ لآخر، ولكن من الواضح أنها تملك مقوّمات العبارة السائرة التي يمكن أن تَختصِر في كلماتٍ أربع ما نريد أن نعلّق به على عديدٍ من المواقف التي تواجهنا في حياتنا اليوميّة: حين نرى إنساناً جشعاً همّه جمع المال والحفاظُ عليه، أو: حين نرى إلى موتٍ مفاجئٍ لإنسانٍ نال من الدنيا كلّ ما يحلم به المرء، أو حين نشهد مصرع طاغية، إلخ..

٢- الذين آمنوا وعملوا الصالحات:

هذه عبارةٌ قرآنيّةٌ من السهل أن نختصر بها وصف إنسانٍ أردنا أن نعبّر في كلماتٍ عن مدى صلاحه وإيمانه وتقواه، ممّا تشير إليه عشرات الآيات المثيلة.

٣- وتواصَوا بالحقّ وتواصَوا بالصبر:

وهذه أيضاً من العبارات القرآنيّة التي تَختصر لنا الطريق في إطلاقها على من نريد أن نضفي عليهم صفات الاستقامة والعدالة والصبر والثبات.

٤- سورة العصر كلّها:

تقترب مرتبة هذه السورة من مرتبة السور الثلاث الأخيرة في القرآن الكريم (الإخلاص، والفلق، والناس) في ترديد المسلمين لها في أكثر من مناسبةٍ يومية، ولا سيما في اختتام الجلسات أو الاجتماعات أو اللقاءات الفرديّة.

وقد أخرج الطبرانيّ في الأوسط، والبيهقيّ في الشُعب، عن أبي مُزينة الدارميّ، قال:

- كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرّقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلّم أحدُهما على الآخر[1]

---

(١) انظر:

- الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ط. ٢، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٢١٥، حديث رقم ٥١٢٤.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ، ج٦، ص٥٠١، حديث رقم ٩٠٥٧.

openkan.com